المنظور الفلسفي للطب بين القديم والحديث

أ/ عـمور خـيرة

جامعة زيان عاشور بالجلفة

ملخص:

رافق التفكير الفلسفي البحث العلمي في كل مراحله خلال ازدهاره أو مع أزماته ، فالبحث في العلوم الطبية لم يخلو من انطواء التفكير الفلسفي في طيات آفاقه المتشعبة ، و قد اختلف التفكير الفلسفي للطب بين القديم و الحديث لتأخذ فلسفته القديمة مذهب النظرية الكلية التي ترى الانسان كلا عضويا متكاملا ، و تأخذ الفلسفة الحديثة مذهب النظرية الآلية التي ترى الانسان مجموع أعضاء لكل جزء خصوصيته .وقد اعترف العديد من المنظّرين للعلم الطبي بأهمية المجال الفلسفي في بحث المبادئ و المنطلقات العلمية للطب ، كما و تحليل النتائج و المعارف التي يتوصل إليها العلماء الباحثين في مجال الطب في سبيل الأخذ بالصحيح و تصحيح الخاطئ من خلال البحث الفلسفي النظري و إبداع مناهج جديدة تخدم هذا العلم الذي تعود نتائجه بشكل مباشر على الانسان .

كلمات مفتاحية: المنظور الفلسفي ، الطب

مـقدمــة :

اهتم الانسان منذ تواجده على سطح الأرض بالصحة و علاج الأمراض التي تصيبه ، و لذلك كان دائم البحث عن التركيبات الدوائية التي تساعده على الشفاء من العلل التي يُصاب بها و قد تطورت الكيفيات التي يعتني فيها الانسان بذاته في بيئة يصعب التحكم فيها و في جسد يصعب سبر أغواره ، فكان أن اهتم الانسان القديم بالبحوث الطبية بعديد الوسائل و الخبرات حتى و إن كانت بدائية ، و ما لبثت العلوم الطبية في التطور عبر العصور لتأخذ طابعا علميا جديدا حسب معطيات كل عصر ، حتى عصرنا الحالي الذي تميّز بالتقدم التكنولوجي الذي دفع بعجلة التقدم العلمي قُدما ، و لطالما اهتم الانسان بالجانب الفلسفي في تفكيره حتى و إن كان ارتباط الانسان الحديث بالمنهج العلمي أكثر ، و كان حضور الفلسفة في المجالات العلمية محل خلاف بين المفكرين ، و من هنا يمكن أن نتساءل :

- كيف تطورت الدراسات الطبية للإنسان بين القديم و الحديث ؟

- و هل يمكن رصد إرهاصات فلسفية مرتبطة بالدراسات الطبية ؟

- و فيما تمثلت هذه الإرهاصات ؟

الطب في الحضارات القديمة :

عرفت الحضارات القديمة الطب و الأدوية لمعالجة الأمراض و قد تفاوتت الاكتشافات الطبية فيها من حضارة إلى أخرى (كمال، 1998، صفحة 13)، بل و أكثر من هذا عندما تمكنت الدراسات الحديثة من إثبات تعرّف الانسان على الممارسات الطبية في حضارات ما قبل التاريخ حتى و إن كانت دلائلها قليلة مثل استعمال لقاحات الأزهار للاستطباب (الماجدي، 1998، صفحة ص12 ص17)، لأن الانسان رغب منذ تواجده على سطح الأرض في العلاج من الأمراض و الشفاء منها فهي غريزة طبيعية فيه ، و حتى إن ارتبطت الممارسة الطبية لإنسان ما قبل التاريخ بطقوس دينية أو سحرية إلا أنه قد بحث عن طرق علاجية للشفاء (كمال، 1998، الصفحات 9-10) .

و قد عرف الانسان السومري الطب من خلال معالجة الأمراض بالأعشاب و الأدوية و كتابة النصوص الطبية حيث تم العثور على بعضها مكتوبة على قوالب منقوشة ، كما تم العثور على خاتم طبيب و هو عبارة عن أسطوانة طينية صغيرة نُقش عليها اسم صاحبها لتدوينه على قوالب أخرى و غالبا ما امتزج الطب عندهم بالدين و الفلك .

كما عرفت الحضارة البابلية الممارسة الطبية و قد دوّنوا النصوص الطبية على الألواح الطينية و قد ارتبط الطب عندهم أيضا بالممارسات الدينية و السحرية و غيرها ، لكن الحضارة البابلية أثبتت تقدمها في مجال الطب من خلال الوصفات الطبية التي تركوها و التي تبيّن مدى براعتهم في علاج الكثير من الأمراض و بوسائل بسيطة لم يعرفوا أكثر منها، و كانت مهنة الطب تسري بشكل منظم حيث كان يشخص المرض بشكل دقيق كما يتقاضى أجرا على مهنته و كلن يعُاقب أيضا على أخطائه (كمال، 1998، الصفحات 13-15).

و قد عرفت الحضارة الصينية الطب فاعتنوا بالبحث في خواص النباتات التي مثلت النسبة الأكبر من أدويتهم كما اهتموا بالكيّ و الوخز بالإبر لذا اعتنوا بدراسة التشريح ، كما درسوا باطن الانسان و قسموا أنواع الأمراض حسب الفصول ليكون الشتاء لأمراض الصدر و الرئة و يكون الربيع للأمراض النفسية و

الصيف للأمراض الجلدية و الخريف للحميات ، و يمكن القول أن الطب الصيني كان أكثر تحررا من الخرافات عن سابقيه و لازالت طريقة الوخز بالإبر سارية الاستعمال ليومنا هذا .

و كان الطب عند الحضارة الهندية ملمّا بالعديد من العلاجات لكثير من الأمراض كما تميزوا عن سابقيهم بفن التشريح فاشتهروا بأنواع مختلفة من الجراحة ، إلا أن الطب الهندي امتزج بالسحر و الشعوذة لكن هذا لم يمنع تقدمهم في هذا المجال (السرجاني، 2009، الصفحات 16-20) .

و قد برع المصريون في مجال الطب حتى و إن كان يُميّز عندهم بين الممارسة الطبية للكهنة الذين يرجعون الشفاء للآلهة و ممارسة الأطباء الذين تخصصوا في جوانب عديدة من أعضاء جسم الانسان ، و عرفوا الطب الباطني و التشريح و أجروا العمليات الجراحية كما وضعوا الوصفات الطبية وحددوا أجرة الطبيب المعالج ، كما عُرف عنهم كتم أسرار الطب لتكون خاصة بالمُشتغل بالطب فقط مثل خلطات الأعشاب أو أسرار تحنيط الموتى (أليوا، 2004، الصفحات 22-27).

و قد أخذ اليونانيين معارفهم الطبية عن الحضارات السابقة لهم و أضافوا مساهماتهم في هذا المجال ، و لأن العقلية اليونانية معروفة بالمنطقية و النشاط فإنهم احتلوا مكانة كبيرة في مجال الطب و قد أنجبت هذه الحضارة أشهر أطباء العالم لليوم هذا و هو أبوقراط (460-357 ق.م) (السرجاني، 2009، صفحة ص21) .

و انقسم الممارسون للطب عند اليونان إلى قسمين ، يعالج الأول المرضى بالكهانة و السحر و يعالج القسم الآخر المرضى بالوصف و التشخيص تماشيا مع الطب الطبيعي و هذا ما عمل عليه الفلاسفة ، و كان أبقراط أول من وضع الأسس النظرية للطب لهذا أطلقوا عليه تسمية " أبو الطب " ، و منه تحرر علم الطب ليصبح معروفا بين عامة الناس ليتطور جيلا بعد جيل (السرجاني، 2009، الصفحات 21-23) .

و قد برع المسلمون في مجال الطب فاهتموا بسلامة النفس و الجسد و استقوا معارفهم الطبية من الطب النبوي ، كما استفادوا من طب الحضارات السابقة عليهم خاصة الطب اليوناني و تعلموا الطب التجريبي فصححوا علوم سابقيهم و أضافوا عليها ، و قد صحح ابن النفيس مثلا خطأ جالينوس في اعتباره وجود ثقب في بطيني القلب الأيمن و الأيسر ليبتكر الدورة الدموية الصغرى ، و قد بنى المسلمون المستشفيات و الجامعات الطبية و اشتهرت أسماء معروفة في مجال الطب ، فحرروا الطب من السحر و الشعوذة لينتهج الطب منهج العلم التجريبي دراسة و ممارسة ، كما ركزوا على الجانب الأخلاقي فتميّز الطبيب بالأمانة و

النزاهة و الاتجاه بالطب إلى نمحى علمي أصيل أفاد البشرية لقرون عدة فبرعوا في الجراحة و التشريح و طب العيون و الأطفال و أمراض النساء و الولادة و غيرها (السرجاني، 2009، الصفحات 28-38) .

النظرة الفلسفية للطب القديم :

من الأسس الفلسفية في الطب نميز بين نزعتين ، الأولى هي النزعة العضوية و يمثلها " المذهب الحيوي " أو الكلي و الثانية هي النزعة الآلية و يمثلها " المذهب المادي " ، و قد ساد المذهب الحيوي ذو النزعة العضوية النسق الطبي القديم ، و من بين أهم القضايا للمذهب الحيوي نذكر ما يلي :

1- يختلف الكائن العضوي عن الكائن غير العضوي في الدرجة لا في الطبيعة ، فالحياة لا ترجع للجماد و هذا ما اختلف عنه العلم الحديث الذي رد الظواهر البيولوجية إلى عناصر فيزيقية و كيميائية .
2- للمذهب الحيوي نظرية واحدية كلية فالإنسان كيان واحد ذو بنية متكاملة ، و الكل يمتلك ما لا يمتلكه الجزء ، لكن الجماد يحمل الجزء صفات الكل .
3- لا تنعزل وظيفة الجزء عن الكل بل تتحدد هذه الوظيفة من خلال خصائص الكل .
4- لا يرجع ما هو أعلى إلى ما هو أدنى ، فلا ترجع خصائص الحياة إلى ميزات الجماد ، و لا تكفي العوامل الفيزيقية و الكيميائية لتفسير الظواهر البيولوجية .

يتداول المذهب الحيوي مجموعة مصطلحات تحدد مقولاته و هي : الكلية ، الواحدية، العضوية ، التكامل ، و تقابلها مصطلحات المذهب المادي مثل : الآلية ، الكثرة ، العناصرية .

و قد خضع الطب القديم لتأثير النظرة الكلية خاصة فيما يخص مفهوم المرض و أسلوب العلاج ، فالمرض يأثر على كامل الجسم و ليس على العضو منفردا ، كما يعني الشفاء استرجاع الفرد لعافيته بشكل كامل لتؤدي كل الأعضاء وظائفها في وحدة عضوية (زيدان، 1993، الصفحات 13-14).

كما ارتبط أسلوب العلاج بتلك النظرية الكلية ليتقدم العلاج بالغذاء على العلاج بالدواء ، و يتقدم العلاج الطبيعي على الجراحي ، و يرى الطبيب البريطاني وورسلي J.R.Worsley الذي درس الطب الصيني أن الطب الغربي مخطئ في تعويض المريض عما فقده بالمرض لأن أعضاء الجسم لم تستعد عافيتها بهذا الشكل ، لكن العلاج بالإبر الصينية يساعد الجسم على إنتاج العناصر التي يحتاجها فعلاج الكل سابق على علاج الجزء ، و لذلك رفض الأطباء القدماء فكرة التخصص في الطب لأن جسم الانسان كل و ليس مجرد أجزاء (زيدان، 1993، صفحة ص15) .

و للنظرية الكلية عدة مبادئ في الفلسفة و الطب و نذكر منها :

أولا : مبدأ التوازن الذي يحقق الانسجام بين أعضاء الجسم ، و تهتم الفلسفة بالاعتدال بين لا إفراط و لا تفريط و في الطب التناسق بين الحياة و الصحة .

ثانيا : مبدأ الغائية الذي يمثل المحور الأساسي للفلسفة قديما خاصة عند أرسطو و في الطب الغائية تعني أداء الأعضاء لوظائفها بشكل سليم .

ثالثا : اتساق الأسلوب المعرفي أو التشخيصي مع النظرية الكلية .

و قد اهتم الطب القديم في الحضارات القديمة باختلافها بالروح المعنوية للمريض لما له أهمية في كفاءة و سرعة العلاج و هذا ما أهمله الطب التجريبي الحديث (زيدان، 1993، الصفحات 16-20) .

الطب الحديث :

تطور الطب من العصور إلى الحديثة منها و اختلفت الوسائل و الطرائق المستخدمة لعلاج الأمراض ، و من أهم الإبداعات الجديدة كان التشريح في العصور الوسطى ثم في عصر النهضة لمعرفة خبايا الجسم البشري مما ساعد الجراحين في شفاء العديد من الأمراض ، ثم ما لبثت أن ظهرت العقلانية في القرن السابع عشر حيث تأثر الطب بهذا الاتجاه و تم التعرف على العديد من الاكتشافات ، مثل اكتشاف هارفي على الدورة الدموية بتشريح القلب و الأوعية الدموية و درسوا أعضاء الجسم بمختلف وظائفها عن طريق تطوير تقنيات الملاحظة كابتكار الميكروسكوب (سورنيا، 2002، صفحة ص156 ص180) .

تطور الطب في عصر الأنوار و تباينت النظريات و تداخلت العلوم الطبية مع الكيمياء و الفيزياء و مال الأطباء أكثر نحو التجريب الذي أفادهم في دراسة وظائف الأعضاء ، كما اهتم الأطباء بالممارسة الإكلينيكية لفحص المرضى من أجل تحديد الأمراض و العلاج المناسب لها (سورنيا، 2002، صفحة ص201ص211)، و بحلول القرن التاسع عشر صار الطب علما بمعنى أكثر جدية ، حيث تطورت الممارسة الإكلينيكية بها تقدمت الملاحظة الطبية للمرضى ، كما اخترعوا المسماع الطبي لمساعدة التشخيص و تواضعوا على عمليات للإحصاء الطبي (سورنيا، 2002، الصفحات 232-234)، ثم تطور الطب إلى عزل الظواهر في المختبر ما أسفر عن كشف البنيات الداخلية للأنسجة الخلوية ، فتوصل لويس باستور إلى دراسة علم الجراثيم و كيفية التلقيح و الوقاية (سورنيا، 2002، الصفحات 253-254) ، و قد استعملوا التعقيم و التخدير في الجراحة لتظهر بعدها ثورة طبية اقتحمت عالم الأشعة مثل أشعة إكس لاستخدامها في التصوير ، لتعرف القرون الأخيرة تطورا تكنولوجيا هائلا عرف انفجارا

للمعارف و التقنيات ليصبح الطب أكثر دقة في دراسة الجسم البشري (سورنيا، 2002، صفحة ص292 ص319).

الخلفية الفلسفية للممارسة الطبية :

للنظرية الطبية أسس فلسفية تستند إليها حيث ترتبط الممارسات الطبية بوجهات نظر فلسفية يمكن القول أنها تطبيق لها ، و نذكر أهم اتجاهين فلسفيين يمكن أن ترتبط بهما الممارسة الطبية و هما : المذهب الآلي المادي أو الميكانيكي، و المذهب الكلي أو الواحدي (إسلام، 1975، الصفحات 287-288) .

النظرة الفلسفية للمادية الآلية :

يرى أصحاب هذا المذهب أن كل الموجودات في هذا العالم تعود إلى جوهر قائم بذاته و هو ثابت لا يتغير كيف كانت تسميته مادة أو طاقة أو زمان- مكان ، و هم لا يميزون بين الكلي المجرد و بين جزئيات ذلك الكلي ، كما يهتمون بالأسباب المؤدية إلى حدوث الظواهر أي البحث عن الطريقة الآلية التي تحدث بها الظواهر التي تخضع لمبدأ الحتمية الذي ينطوي على توفر نفس الأسباب لتحدث نفس الظواهر المترتبة عنها ، و بهذا يكون الاهتمام بكل جزء على حدة و بمعزل عن الكل و هذا ما لتبعته العديد من الممارسات الطبية حيث تدرس ظاهرة مرضية أصابت عضوا ما بشكل منفرد فينصرف العلاج إلى العضو المصاب فقط و البحث عن سبب إصابته ، فالعالم المادي يدرس الأجزاء في معزل عن بعضها البعض و البحث عن العلاقات التي تربط كل حادثة بسببها ، كما ينظرون لجسم الانسان كأنه آلة فالقلب مثلا يشبهونه بالمضخة و يشبهون المخ بمخزن المعلومات أو بالآلة الحاسبة و هكذا ليصبح الجسد كآلة تحكمها قوانين حتمية حيث تؤدي نفس الأسباب إلى نفس النتائج و تصبح الأولوية للجزء على حساب الكل ، فمثلا لو أصيب الانسان بقرحة معوية فإن الطبيب لا يأخذ بعين الاعتبار إلا العضو المصاب بمعزل عن الكل الذي يمثله الانسان المريض الذي يتأثر بجسده كاملا عند إصابة عضو واحد ، بالإضافة إلى إهمال الطبيب تأثير العوامل العاطفية في مثل تلك الحالات المرضية (إسلام، 1975، الصفحات 289-291) .

النظرة الفلسفية للمذهب الكلي :

يولي أصحاب هذا المذهب الأهمية للكل و ليس على الجزء و يرون أن لتكامل الأجزاء في كلية واحدة غاية منشودة ، و أن كل ما في الطبيعة يسعى وراء الكلية و هي الصفة الأساسية لكل الموجودات سواء كانت عضوية أو غير عضوية ، فالمبدأ الغائي يساعد على إظهار السمات الجوهرية في كل كائن حي ، و هذا ما يركز عليه الأطباء الذين يسعون لتوضيح التفسير الوظيفي للجسم الانساني حيث يبحثون على صورة

المبدأ الغائي لكل عضو فمثلا الغرض من القلب ضخ الدم في الشرايين و الغرض من الرئتين توفير الأوكسجين في الجسم و إخراج غاز ثاني أوكسيد الكربون و هكذا حيث يقوم كل عضو في الجسم بتحقيق الغرض المراد منه عند أداء وظائفه (إسلام، 1975، الصفحات 293-294) .

و المبدأ الكلي في الطب يعني تكامل أعضاء الجسم الانساني بأداء كل عضو لوظيفته ، و كثيرا ما تم استخدام مصطلح التنظيم الذاتي حيث يقوم الجسم بتحقيق كليته و اتزانه من خلال عدة عمليات وظيفية يقوم بها في العديد من الحالات مثل التئام الجروح أو تعويض أحد الأعضاء لوظيفة عضو آخر مثل الكلية و هكذا ، كما أن الجسم يحمي ذاته بصنع الأجسام المضادة لأي عنصر غريب في الجسم ليقضي عليه تماما ، و الكثير يطبق النظرة الكلية في الطب من خلال المحافظة على صحة الانسان بشكل عام و هذا ما يضمنه عيش الانسان و تصرفه بما يوافق قوانين الطبيعة ، فيعمل الجسم و العقل بشكل صحيح و بكيفية سليمة لتصبح الصحة أمرا ممكنا لأنها شيء كلي (إسلام، 1975، الصفحات 294-295).

الطب الحديث و المذاهب الفلسفية :

إن ارتباط الطب الحديث بالمنهج التجريبي يجعله يبتعد عن القول بارتباطه بالمقولات أو المذاهب الفلسفية ، و كثيرا ما تم الاعتقاد بأن تطور الطب من النسق القديم إلى النسق الحديث هو انتقال من مجال الفلسفة إلى مجال العلم ، قال كلود برنار : " أن الطب التجريبي ليس مذهبا جديدا في الطب ، و أنه لم يعد في حاجة إلى تسمية مذهبية ، فهو ليس حياتيا و لا حيويا و لا عضويا و لا جماديا (صلبا) و لا خلطيا أو مزاجيا لأنه لن يكون هناك سوى العلم ... و إن كان لا بد من مذهب فلسفي للطب التجريبي فهو أن يكون بلا مذهب ، ذلك لأنه بطبيعته مناف لكل مذهب و لكل نحلة و لا يتقيد بأي نوع من المذاهب الطبية " (زيدان، 1993، الصفحات 30-31) .

لقد رفض كلود برنار انضمام الطب إلى مذهب علمي معين لكن هذا لا ينفي انضمامه للمجال الفلسفي رغم كونه مجالا علميا فهذا لا ينفي ذاك ، و قد كان رفضه للمذهب مبنيا على رفضه للمذهب العضوي نظرا لموالاته للمذهب المادي الآلي ، و قد أراد برنار أن يرجع الظواهر البيولوجية إلى عوامل فيزيقية و كيميائية و هذا ما يوافق النزعة الردّية في الفلسفة ، كما لا يمكن رفض انطواء الطب تحت لواء الفلسفة باسم العلم لأن النزعة العلمية تعتبر مذهبا فلسفيا له معالم محددة ، يعتبر الاستقراء منهجها و تستند إلى نزعة آلية تقرّ بمبدأ الحتمية معتمدة على التحليل الذي يحتاج إلى الفلسفة كما تتبنى مبدأ الردّ أي إرجاع الظواهر البيولوجية إلى تفسيرات فيزيائية و كيميائية ، و قد ألّف كلود برنار كتابه " مدخل إلى

دراسة الطب التجريبي " و قد تطرق فيه إلى مجال الفلسفة بإسهاب عن تطرقه إلى مجال العلوم الطبية ، و يرى أرسطو أن رفض الفلسفة هو بحد ذاته تفلسفا (زيدان، 1993، الصفحات 31-32) .

لقد أسهمت الفلسفة في تشكيل المفهوم الحديث للعلم لما كان للفلاسفة من وعي كبير لمتطلبات العلم ، و كما أن هناك العديد من المقولات التي يتناولها مجال العلم و نجدها في مجال الفلسفة مثل مقولة الحتمية ، حيث تعتبر الحتمية الأساس الذي يقوم عليه التقدم العلمي و المجال الطبي هنا بصفة خاصة ، فالطبيب المجرب يعلم أن القوانين ثابتة و لكل ظاهرة شروط معينة لحدوثها فلكل علة معلول ، كما نجد من المقولات الفلسفية العلمية مثل المصادفة التي تساعد الطبيب على اكتشاف المرض و علاجه أو البحث عنه ، فكثير من الأمراض و العلاجات لم يكتشفها الأطباء إلا مصادفة لذلك وجب على الطبيب تتبع المصادفات و ملاحظتها بدقة (زيدان، 1993، الصفحات 35-38).

و قد ارتبط الطب الحديث بالمذهب المادي و نزعته الآلية و يترك المذهب الكلي للطب القديم ، لأنه يرى أن الكل إنما هو مجموع أجزاء ليؤمن بمذهب الكثرة و التعدد و يعتبر هذا مجال فلسفي بامتياز ، و قد رأوا أن العالم مكون من عالم الأحياء و عالم الجماد و لا وجود لفارق بينهما إلا أن الأول مركباته عضوية و الثاني غير عضوية ، و أن جسم الانسان بكل ما يقوم به من عمليات مثل التذكر و التفكير مثل آلة حية و لكل عضو فيه وظيفة معينة كالآلة ، كما نجد في المجال الطبي فكرة تدرج الموجودات بشكل تصاعدي من الذرة حتى أسمى الموجودات و هو الانسان و هو منظور فلسفي أيضا (زيدان، 1993، الصفحات 38-39) .

و مما سبق كان النسق الوجودي متصاعد حيث يسبق البسيط المعقد إلا أن النسق المعرفي كان نازلا حيث يُرد الأعلى إلى الأدنى ، و يفسر المركب بالبسيط فيتم تحليله ماديا و عقليا كما يلعب التشريح دورا مهما للطب نظريا و تطبيقيا ، و منه يتم ردّ ما هو أعلى إلى ما هو أدنى (زيدان، 1993، الصفحات 42-44) .

الفلسفة و المشكلات الطبية الحديثة و المعاصرة :

غالبا ما يرتبط التفكير الفلسفي و يظهر بشكل جلي حين الأزمات التي تتعرض لها العلوم الطبية ، حيث تساعده الفلسفة على تأمل ذاتي للمشكلات المطروحة و إعادة منهجيات البحث و إعادة بحث المبادئ التي انطلق منها ، و كان قد أشار جان بياجي إلى دور الأزمات في إحياء التفكير الإبستيمولوجي في علم ما ، و قد تعرض العلم الطبي لعدة أزمات استدعت معالجتها إلى الاستعانة بالتفكير الفلسفي لفهمها و تحليلها و محاولة البحث عن حلول لها و محاولة إبداع مناهج جديدة (دحدوح، 2006/2005، الصفحات 123-125)

و من أزمات الطب الحديث كانت باتباع الطب للفيزيولوجيا فكان مبدأ بروسيه الذي رأى أن الأمراض اختلالات وظيفية أو كمية للحالة السوية ، و منه اعتبار المرض حالة عرضية تزول بالعلاج أو تقضي على المريض ، و ترتبت عنها الأزمة الحالية بأبعاد متعددة منها أن الفيزيولوجيا التي أضافها كلود برنار لم تمثل الأساس الحقيقي للعلم الطبي .

و قد رأى أحد تلامذة كانغيلهم المدعو داغوني أن أزمة الطب المعاصر هي مشكلة منهجية تتوقف على التوفيق بين المخبر و المستشفى ، أي بين الفيزيولوجيا و العيادة ، و هذ ما يستدعي وجود فلسفة بيولوجية تبحث الدراسات النظرية لوظائف الحياة و معاناة المريض ، ليتكوّن منهج متكامل يحوي الأهداف المعرفية و العلاجية للعلوم الطبية ، و قد ركّز كانغيلهم على الجانب الإنساني للعلم الطبي الذي يبغي علاج المريض و راحته و يرى أن الغاية من الطب هي الولوج إلى مشكلات إنسانية حقيقية ليكون علما مستقلا قائما بذاته ، و يرى أن الطب يهتم بالصحة عند الانسان و هذا ما يطرح عديد المشكلات الفلسفية (دحدوح، 2006/2005، الصفحات 125-126) .

خـاتـمـة :

ظهر الطب منذ الحضارات الشرقية القديمة أو حتى قبل ذلك فقد اهتم الانسان بمعالجة كل ما ينتابه من علل أو أمراض ، فكان لكل حضارة ما أسهمت فيه من إضافات للبحوث الطبية رغم بدائية وسائلهم ، فبحثوا أسباب الأمراض و كتبوا الوصفات الطبية كما أجروا العمليات الجراحية و غيرها من الممارسات الطبية سبيلا لشفاء الانسان مما يعانيه من أمراض ليسترجع تمام عافيته ، و ما لبثت العلوم الطبية أن سارت في طريق التقدم متابعة لتعاقب العصور ، و ليكون لكل حقبة زمنية ما لأسهمت فيه من اكتشافات علمية أثرت به العلم الطبي ، فاهتم الأطباء بدراسة جسم الانسان بشتى الوسائل المتوفرة حسب كل عصر و حسب درجة التقدم الذي يتصف به ذلك العصر ، فدرسوا التشريح لمعرفة خبايا الجسم البشري و تعاملوا مع المرضى إكلينيكيا و بشكل مباشر ، ثم ليكتشفوا من الوسائل المتطورة ما زاد العلوم الطبية دقة .

و قد رافق التفكير الفلسفي البحث العلمي في كل مراحله خلال ازدهاره أو مع أزماته ، فالبحث في العلوم الطبية لم يخلو من انطواء التفكير الفلسفي في طيات آفاقه المتشعبة ، و قد اختلف التفكير الفلسفي للطب بين القديم و الحديث لتأخذ فلسفته القديمة مذهب النظرية الكلية التي ترى الانسان كلا عضويا

متكاملا ، و تأخذ الفلسفة الحديثة مذهب النظرية الآلية التي ترى الانسان مجموع أعضاء لكل جزء خصوصيته .

و قد اعترف العديد من المنظّرين للعلم الطبي بأهمية المجال الفلسفي في بحث المبادئ و المنطلقات العلمية للطب ، كما و تحليل النتائج و المعارف التي يتوصل إليها العلماء الباحثين في مجال الطب في سبيل الأخذ بالصحيح و تصحيح الخاطئ من خلال البحث الفلسفي النظري و إبداع مناهج جديدة تخدم هذا العلم الذي تعود نتائجه بشكل مباشر على الانسان .

قائمة المصادرو المراجع :

1. أحمد محمود صبحي ، محمود فهمي زيدان. (1993). *في فلسفة الطب*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر.

2. برونو أليوا. (2004). *الطب في زمن الفراعنة* (الإصدار الطبعة الأولى). (كمال السيد، المترجمون) مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

3. جان شارل سورنيا. (2002). *تاريخ الطب (من فن المداواة إلى علم التشخيص)*. (إبراهيم البجلاتي، المترجمون) الكويت: عالم المعرفة.

4. حسن كمال. (1998). *الطب المصري القديم*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5. خزعل الماجدي. (1998). *بخور الآلهة (دراسة في الطب و السحر و الأسطورة و الدين)* . الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع .

6. راغب السرجاني. (2009). *قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية* (الإصدار الطبعة الأولى). مصر: مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع.

7. رشيد دحدوح. (2006/2005). تاريخ و فلسفة العلوم البيولوجية و الطبية عند جورج كانغيلهم (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسنطينة: جامعة منتوري قسنطينة.

8. عزمي إسلام. (ديسمبر, 1975). الفلسفة و الطب - لليدرمان. *مجلة عالم الفكر*(العدد 3).